

تفسير البحر المحيط

@ 302 @ لولا هداية □ تعالى وتوفيقه ، وقال أبو البقاء : و الواو للحال ويجوز أن تكون مستأنفة انتهى ، والثاني : أظهر . وقرأ ابن عامر { مَا كُنَّا } بغير واو وكذا هي في مصاحف أهل الشام وهي على هذا جملة موضحة للأولى ومن أجاز فيها الحال مع الواو ينبغي أن يجيزها دونها ، والذي تقتضيه أصول العربية أن جواب { لَوَلَا } محذوف لدلالة ما قبله عليه أي { لَوَلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ } ما كنا لنهتدي أو لضللنا لأن { لَوَلَا } { لَوَلَا } للتعليل فهي في ذلك كأدوات الشرط على أن بعض الناس خرج قوله لولا أن رأى برهان ربه على أنه جواب تقدم وهو قوله { وَهَمَّ بِهِ } وسيأتي ذلك إن شاء □ تعالى ، وهذا على مذهب جمهور البصريين في منع تقديم جواب الشرط . .

{ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } أي بالموعود الذي وعدنا في الدنيا قضا بأن ذلك حق قضاء مشاهدة بالحس وكانوا في الدنيا يقضون بذلك بالاستدلال ، وقال الكرمانى : وقع الموعود به على ما سبق به الوعد ، وقال الزمخشري فكان لنا لطفاً وتنبهاً على الاهتداء فاهتدينا يقولون : ذلك سروراً واغتياباً بما نالوا وتلذذاً بالتكلم به لا تقرباً وتعبداً كما ترى من رزق خيراً في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك أن يقوله للفرح لا للقرية . { وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ كُُمُ الْجَنَّةِ } أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ { يحتمل أن يكون النداء من □ وهو أسر لقلوبهم وأرفع لقدرهم ويحتمل أن يكون من الملائكة وأن يحتمل أن تكون المخففة من الثقلة أي { وَنُودُوا } بأنه { تِلْكَ كُُمُ الْجَنَّةِ } واسمها ضمير الشأن يحذف إذا خففت ويحتمل أن تكون { ءَانِ } مفسرة لوجود شرطها وهما أن يكون قبلها جملة في معنى القول وبعدها جملة وكأنه قيل : { تِلْكَ كُُمُ الْجَنَّةِ } . قال ابن عطية { تِلْكَ كُُمُ } إشارة إلى غائبة فإما لأنهم كانوا وعدوا بها في الدنيا فالإشارة إلى تلك أي { تِلْكَ كُُمُ } هذه { الْجَنَّةِ } وحذفت هذه وإما قبل أن يدخلوها وإما بعد الدخول وهم مجتمعون في موضع منها فكل غائب عن منزله انتهى ، وفي كتاب التحرير و { تِلْكَ كُُمُ } إشارة إلى غائب وإنما قال هنا { تِلْكَ كُُمُ } لأنهم وعدوا بها في الدنيا فلأجل الوعد جرى الخطاب بكلمة العهد قوله صلى □ عليه وسلم (للصدى في الاستخبار عن عائشة (كيف تيكمل للعهد السابق) انتهى ، { والجنة } جوّزوا فيها أن تكون خيراً لتلكم { * وأورثتموها } حال كقوله { أَجْمَعِينَ } فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً { . قال أبو البقاء : حال من { الْجَنَّةِ } والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة ولا يجوز أن تكون حالاً من تلك للفصل بينهما بالخبر ولكون

المبتدأ لا يعمل في الحال انتهى ، وفي العامل في الحال في مثل هذا زيد قائماً خلاف في النحو وأن يكون نعتاً وبدلاً { * وأورثتموها } الخبر أدغم النحويان وحمزة وهشام التاء في التاء وأظهرها باقي السبعة ومعنى { الْجَنَّةُ } أُورِثْتُمْ هَا { صيرت لكم كالإرث وأبعد من ذهب إلى أن } المعنى أورثتموها عن آبائكم لأنها كانت منازلهم لو آمنوا فحرموها بكفرهم وبعده إن ذلك عام في جميع المؤمنين ولم تكن آباؤهم كلهم كفاراً والباء في { بِمَا } للسبب المجازي والأعمال أمانة من الله ودليل على قوة الرجاء ودخول الجنة إنما هو بمجرد رحمة الله والقسم فيها على قدر العمل ولفظ { أُورِثْتُمْ هَا } مشير إلى الأقسام وليس ذلك واجباً على الله تعالى ، وقال الزمخشري : { أُورِثْتُمْ هَا } بما كنتم تعملون بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطله انتهى ، وهذا مذهب المعتزلة ، وفي صحيح مسلم لن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا : (ولا أنت يا رسول الله قال : ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته منه وفضل) . .

{ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدُوا وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا } .
عبر بالماضي عن المستقبل لتحقيق وقوعه وهذا النداء فيه توبيخ وتوقيف على مآل الفريقين وزيادة في كرب أهل النار بأن شرفوا عليهم وبخلق إدراك أهل النار لذلك النداء في أسماعهم ، قال